تقدير موقف

مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Studies and Planning

نطاق الحرب المعقد في الشرق الأوسط
إعادة فهم خارطة الصراع والأمن القومي

د. علي فارس حميد

سلسلة اصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Studies and Planning

نطاق الحرب المعقد في الشرق الأوسط
إعادة فهم خارطة الصراع والأمن القومي

سلسلة اصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط/ قسم الابحاث / الدراسات السياسية، والدراسات العسكرية والأمنية

الاصدار / تقدير موقف

الموضوع / السياسة الداخلية والخارجية، شؤون إقليمية ودولية، الامن والدفاع

د. علي فارس حميد/ أستاذ الدراسات الدولية والاستراتيجية/ جامعة النهرين.

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌّ، غيرُ ربحيٍّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلول عملية جليّة لقضايا معقدة تهمُّ الحقليْنِ السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنّما تعبّر عن رأي كتابِها.

حقوق النشر محفوظة © 2024

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org
Since 2014

المدخل

منذ أحداث السابع من تشرين الأول/أكتوبر 2023 وطبيعة التفاعلات التي تتصل بالمنطقة تتجه نحو مسارات غير واضحة؛ بسبب تعقيدات الأحداث من حيث الأطراف والقضايا، خاصةً وأن طبيعة التوجهات الكيان الصهيوني تذهب نحو الاستنزاف وإضعاف الأطراف الأخرى، لا سيما حزب الله، الذي يشكل مصدر تهديد مباشر بالنسبة للأمن داخل الكيان الصهيوني «إسرائيل». مع إدراك لمكانة الحوثيين العسكرية في معادلة الحرب وفصائل المقاومة العراقية، فإن جميع هذه القوى ذات تأثير كبير على الصورة النمطية لأمن الكيان الصهيوني «إسرائيل» رغم تركيز هذه الصورة على حزب الله بوصفه الهاجس الأكبر منذ تموز/يوليو عام 2006.

إلى جانب ذلك، فإن مواقف الدول والقوى الإقليمية تشكل هي الآخرى، بعداً مؤثراً في التفاعلات القائمة، سواء ضمن النطاق الإقليمي لدائرة الحرب، أو في منطقة الخليج، فضلاً عن العراق الذي يُعد من الدول التي يكاد يكون تأثيرها مختلفاً وأكثر تعقيداً بحكم الغايات التي تجمع بين السياسة والقيم، إذ تسعى الحكومة العراقية إلى الاحتفاظ بمواقف مستقلة في السياسة الخارجية، وفقاً لما يفرضه الدستور والبيئة المحلية، فالموقف الذي تبنته الحكومة العراقية تجاه الحرب في غزة كان يمثل قمة الإيجابية والتأييد، وحظي بتأييد القوى الوطنية العراقية، إلا أنه لم يكن مقنعاً للمقاومة الإسلامية العراقية؛ بسبب تزايد وتداخل الأحداث، الأمر الذي شجع فصائل المقاومة على زيادة الضغط العسكري لغرض التأثير في قوات الاحتلال الصهيوني وإيقاف الدعم المقدم لها من قبل القوات الأمريكية. إلى جانب شعورها بتمادي القوات الأمريكية في العراق وعدم استجابتها للضغوط الحكومية الهادفة إلى إخراجها. وهذا ما يجعل العراق طرفاً في هذه الحرب، رغم محاولة الحكومة العراقية إضفاء التوازن المقترن بالدبلوماسية في سلوكها الخارجي.

ومن ثم، فإن طبيعة الحرب من حيث صلتها بدور العراق الإقليمي والمكانة التي تبحث عنها شكّلت تداخلاً في غاية التعقيد من الصعب إدراك تداخل تداعياته المعقدة في هذا المجال. فضلاً عن أنه من الصعب فصل تداعيات هذه الحرب عن الأمن القومي العراقي، خاصةً بعد أن أصبحت فصائل المقاومة العراقية طرفاً مباشراً في الحرب.

تعديل صورة الحرب من حماس إلى حزب الله

يشكل حزب الله الطرف الأكثر تأثيراً في ذهنية الكيان الصهيوني «إسرائيل»، فعلى الرغم من أن الحرب في تشرين الأول/أكتوبر كانت ضمن نطاق غزة، إلا أن إسرائيل تبحث عن تأمين أكبر لمحيطها مقابل محور المقاومة الذي أصبح تأثيره متزايداً بعد إعلان مبدأ «وحدة الساحات القتالية» من قبل محور المقاومة، خاصةً وأن انضمام الحوثيين إلى الحرب وفصائل المقاومة العراقية، شكل وضعاً جديداً في التوازن. ومن ناحية أخرى لا يمكن استبعاد استراتيجيات الاشتباك وقواعد الحرب الجديدة، فالأسلحة المستخدمة من قبل محور المقاومة وتكتيكات الحرب أصبحت مدروسة بشكل أكبر وذات تأثير أعمق في الحرب.

وفقاً لتصور جون ميرشايمر، يسعى الكيان الصهيوني «إسرائيل» إلى هزيمة حماس بشكل نهائي لأجل إحداث توازن نسبي مع محور المقاومة، خاصة من حيث الوضع السكاني، دون أن يقتصر ذلك على قطاع غزة[1]، وقد كان اغتيال رئيس المكتب السياسي إسماعيل هنية في طهران يمثل استراتيجية هادفة لإضعاف محور حماس في غزة وتقليل ارتباطه السياسي والعسكري بالجمهورية الإيرانية، خاصةً بعد تكثيف الهجمات الصاروخية من قبل إسرائيل على الضاحية الجنوبية، والتي أسفرت عن استشهاد السيد حسن نصر الله.

ووفقاً لاستراتيجية الحرب الإيرانية، فإن التصعيد من قبلها يُعد تكتيكاً يستهدف خفض التصعيد الموجه لفصائل المقاومة من قبل الكيان الصهيوني «إسرائيل»، خاصةً وأن محاولة زعزعة الثقة داخل فصائل المقاومة بتخلي إيران عنها، أصبح يشكل تهديداً لتماسك المحاور في الضاحية الجنوبية بشكل خاص[2]، الأمر الذي دفع إلى توجيه ضربات صاروخية للعمق الإسرائيلي، مما أحدث تعديلاً واضحاً في مسار الحرب، رافقتها عمليات عسكرية من قبل العمليات الخاصة في حزب الله (الرضوان) والتي كانت سبباً في تراجع الكيان الصهيوني «إسرائيل» عن خيار الاجتياح البري التي كانت تنوي القيام به تجاه الضاحية.

عززت خطة الهجوم الإيرانية وتكتيكات حزب الله والحوثيين من ثقة أطراف المقاومة بقدرتهم على الاستمرار في ردع الكيان الصهيوني «إسرائيل»، فضلاً عن اهتزاز صورة إسرائيل في الداخل، حيث أثبتت الهجمات قدرة أكبر على تدمير البنى التحتية واختراق القبة الحديدية،

١ للمزيد ينظر رابط المحاضرة العلمية، جون ميرشايمر، اسرائيل في ورطة خطيرة، محاضرة منشورة على الرابط:

https://youtu.be/_IooXYVZtM?si=9CFkWOVdVXoNQri٨

٢ مصطفى السراي، ايران تثأر لنفسها وللحلفاء لترسيخ شرعية الوجود، مركز البيان للدراسات والتخطيط، بغداد، ٢٠٢٤

التي كانت تعتبرها إسرائيل حصناً ضد الهجوم الصاروخي وتأمين لداخلها من التهديدات المتتالية ضمن محاور عمليات المقاومة الإسلامية. الأمر الذي استدعى انتقال العمليات العسكرية من غزة إلى الضاحية الجنوبية، بوصفها الهدف الأشد حيوية بالنسبة للكيان الصهيوني «إسرائيل»

الحوثيون: تكامل المحاور وإدارة الضغوط

رغم محاولة الولايات المتحدة الأمريكية المحافظة على وضع الحرب ضمن نطاق الحرب المحدودة، إلا أن طبيعة الفعل العسكري والاستهداف الإسرائيلي جعل قواعد الاشتباك وحدود الحرب في تبدل مستمر، مما يتطلب من محور المقاومة وجود لاعب إقليمي يمكنه الضغط بشكل مستمر للتوازن في إدارة الحرب، ومنذ بداية الأحداث في غزة واللاعب الحوثي يمثل الطرف الأكثر قدرة على التأثير والضغط في هذه الحرب؛ بسبب موقعه الجيوبولتيكي ومكانته كطرف مؤثر في الأمن في منطقة البحر الأحمر.

من الناحية العسكرية، يشكل الأداء العسكري الذي يقوم به الحوثيون بخصوص السفن الأمريكية في البحر الأحمر من أهم الضغوط التي تقوم بها المقاومة الإسلامية، كرد فعل على الأعمال غير الإنسانية التي يقوم بها الكيان الصهيوني في غزة. فعملية استهداف هذه السفن تهدف إلى الضغط على الكيان الصهيوني والولايات المتحدة الأمريكية لإيقاف الحرب. فضلاً عن أن التدابير التي يتخذها الحوثيون في منطقة البحر الأحمر تدخل في نطاق الحرب المحدودة، والتي يراد منها تقييد سلوك الخصم باتجاه إيقاف الحرب أو عدم التمدد.

إن نقاط الضغط الأساسية في امتداد المعارك تخضع لحسابات منطقية ذات تأثير استراتيجي واضح، فالولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية تخشى اتساع الحرب في الشرق الأوسط بهذا الشكل، خاصةً وأن الحوثيين قد أجبروا قبل سنوات المملكة العربية السعودية على الدخول في محادثات سلام، فعملية الملاحة في البحر الأحمر وحركة السفن ستؤثر في الأوضاع الاقتصادية في أوروبا، وقد تؤدي إلى فرض رسوم مالية جديدة بفعل سياسات التأمين تفوق الرسوم المالية التي حدثت بسبب الحرب في أوكرانيا. وهذا المؤشر قد يجبر الأوروبيين على نقل مسار أدائهم في المنطقة وهو ما يعد أحد الاحتمالات التي يتصور حدوثها الحوثيين بسبب المخاوف المتنامية في المنطقة. وما يفسر كذلك إصرار المملكة العربية السعودية على تهدئة الأوضاع في غزة وعدم انخراط الحوثيين إلى دائرة الحرب، من أجل عدم تحول المملكة العربية السعودية إلى منطقة واقعة في دائرة الحرب.

أسهمت الضربات التي وجهتها الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة إلى زيادة ضغط الحوثيين في منطقة البحر الأحمر، فالضربات من الناحية العسكرية، كان هدفها إرسال تطمينات من قبل الولايات المتحدة الأمريكية إلى الأوروبيين بأن الحرب من الممكن أن تتسع في حال استمر الحوثيون في ضرب السفن في منطقة البحر الأحمر، وهي إشارة إلى محاولة تحييد الحوثيين عن الاستمرار في الضغط ضمن دائرة الحرب في المنطقة. والتي من الممكن أن تعمل على تعديل قواعد الاشتباك بحيث يكون الضغط العسكري خياراً لتغيير مناطق الاستهداف بدلاً من التطويق الذي يعني أن الحرب أصبحت وشيكة. غير أن أحداث تشرين الأول/أكتوبر 2024 جعلت الحوثيين في مركز التأثير لتوجه صواريخ بالستية إلى داخل الكيان الصهيوني، كانت تعد أسرع ردود الفعل التي تلت استشهاد السيد حسن نصر الله، وفتحت المجال لتكامل جديد في الأدوار بين فصائل المقاومة الإسلامية في العراق ولبنان وفلسطين

فهم قواعد الاشتباك الجديدة

في ظل هذا التحليل، فإن قواعد الاشتباك التي تحدد نطاق التفاعل بين جميع الأطراف غير متطابقة، فالقواعد التي تفرضها الحرب داخل غزة تختلف عن قواعد الاشتباك خارجها من حيث الأطراف ومساحة الفعل الاستراتيجي، وعموماً تبدو الحرب بوصفها العام حرباً مفتوحة لغرض زيادة الضغط على الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها، من أجل إيقاف الأساليب غير الأخلاقية التي تقوم بها إسرائيل في غزة والضاحية الجنوبية.

إلى جانب ذلك، فإن بعض أطراف الحرب التي لا تزال تحاول عدم توسيع نطاق الحرب والدخول في حرب شاملة، تراقب حركة المتغيرات حتى أقدمت إسرائيل على توسيعها بعد استهداف الضاحية الجنوبية، فحزب الله في لبنان كان متمسكاً بقواعد الاشتباك، ويفضل عدم الانخراط في حرب شاملة وواسعة حفاظاً على التوازن في غزة، إذ قد تؤدي الأحداث المتصاعدة إلى استنزاف يؤثر في قوة جميع الأطراف إن لم يشمل وجود بعضها بحكم الحسابات المنطقية، غير أن الكيان الصهيوني «إسرائيل» يحاول التوسع على حساب حرب الاستنزاف، مدركاً أن القوى الإقليمية المهمة سوف تحاول تصحيح المسارات لصالحها، كما هو الحال في المباحثات التي شملت السعودية وقطر والجمهورية الإيرانية، بعد الضربات الصاروخية الموسعة التي قامت بها إيران، والتي كانت تستهدف عدم اتساع الأطراف في الحرب، إذ إن بعض أطراف المقاومة في العراق، فضلاً عن الحوثيين في اليمن، قد يعملون على استهداف المصالح الأمريكية في منطقة الخليج.

إن إحدى مبررات تبني استراتيجية اغتيال القادة ورموز المقاومة، هو إضعاف التماسك داخل فصائل المقاومة، فعملية اغتيال القادة واستهداف المراكز الحيوية يعمل على إيجاد ثغرات متعددة في مقدمتها إحداث اهتزاز في بنية الرمزية القيادية لفصائل المقاومة ومقارنة الأفعال والسياسات، الأمر الذي يزداد تأثيره كلما كانت الشخصيات القيادية المستهدفة ذات وزن عسكري كبير. إذ إن معظم الاغتيالات التي تبناها الكيان الصهيوني قد كان لها وزن من حيث التأثير في حركة المقاومة الإسلامية، وكان أشدها من حيث نطاق التأثير هو اغتيال القائد إسماعيل هنية، بوصفه يمثل رمزية سياسية وعسكرية للمقاومة الفلسطينية، لا يمكن تجاهل تأثيرها في فلسطين أو بقية مناطق المقاومة الإسلامية. إلى جانب السيد حسن نصر الذي يُعد رمزية ذات نطاق مؤثر في معظم مناطق المقاومة الإسلامية، وكذلك يصنف بأنه رمز لقيادة سياسية وعسكرية في لبنان، من الصعب تعويضها أو مقارنة أحد بها.

إن معظم الخيارات التي تتصل بالحرب يمكن أن تتجه نحو احتمالات أكثر تعقيداً؛ بسبب صعوبة ضبط النفس ووصول قيادات ذات أولويات عسكرية تحاول ترميم المعاناة بضربات عسكرية قد تكون غير محسوبة من حيث النتائج؛ مما يجعل أطرافاً جديدة تدخل نطاق الحرب خاصةً وصعوبة فهم التوجه الأمريكي، الذي يحاول إعادة تصميم خارطة الصراع والحرب في المنطقة بشكل يضمن زيادة فاعليتها وتقليل قدرة خصومها على الاستمرار في محور الممانعة، وفقاً للحسابات الاستراتيجية الأمريكية. وهو الأمر ذاته الذي ينطبق على توسيع أطراف المقاومة الضغط عسكرياً على الكيان الصهيوني «الإسرائيلي» لأكثر من محور لغرض المشاغلة وإعادة تنظيم مركزية القيادة، التي أصبحت ذات ضغوط أكبر بسبب الاستهداف المتكرر من قبل إسرائيل لقيادات المستوى الأول في فصائل المقاومة الإسلامية.

إن فهم خارطة الحرب من حيث اتساع الأطراف الداخلة في الحرب من شأنه الاستمرار باستنزاف قدرات المقاومة؛ بسبب عدم وجود حدود واضحة للحرب، فضلاً عن أن قواعد الاشتباك تتجدد بحسب حركة المتغيرات، والتي تحاول إسرائيل السيطرة عليها وتحديد نطاقها حسب الأهداف والأولويات، فالنطاق الذي يحدد مسألة الحرب يكاد يضمن لإسرائيل المبادرة فيه، خاصةً وأن بقية القوى الإقليمية التي لا تُعد جزءاً من محور المقاومة تتخذ جانباً يكاد يحسب لصالح الكيان الصهيوني «إسرائيل» بالمقارنة مع موقفها من محور المقاومة الذي يحاول حصر خيارات الكيان الصهيوني «إسرائيل» في هذه الحرب، فمن الناحية العسكرية تضيق مجالات المقاومة بسبب تأثيرات الولايات المتحدة الأمريكية وضغوط القوى في منطقة الخليج.

ومع ذلك، تبقى احتمالات الحرب مفتوحة وفقاً لتعدد الأطراف واتساع دائرة الهجمات، خاصةً بعد تبني المقاومة الإسلامية العراقية طائرات مسيرة باتجاه إسرائيل، والتي نفذت توجيه ضربات لمواقع تابعة للكيان الإسرائيلي؛ مما يجعل العراق أمام احتمالات الانخراط في الحرب من جهة والتداعيات المترتبة عليها باعتباره يمثل طرفاً ضمن محور المقاومة. رغم أن مركزية المقاومة الإسلامية في العراق من الناحية العسكرية لا تماثل المقاومة الإسلامية في لبنان، غير أنها تبقى ضمن منحى دائرة التأثير والاستجابة، التي ستصل تأثير تداعياتها من حيث درجة التهديد إلى الأمن القومي العراقي؛ بسبب تبدل مراكز العمليات وقواعد الاشتباك.

ووفقاً لتصعيد أطراف الحرب نطاق المواجهة، خاصةً بعد الضربات الصاروخية التي قامت بها الجمهورية الإيرانية، يمكن تقييم الحرب على مستويين: إذ يتصل المستوى الأول بتحشيد الكيان الإسرائيلي للقدرات الصاروخية الذاتية، والتفاوض مع الولايات المتحدة الأمريكية بشأن تعزيز عمقها العسكري عن طريق القيادة الأمريكية الوسطى، والقواعد العسكرية الموزعة في منطقة الخليج، لغرض توجيه ضربات عسكرية حيال الجمهورية الإيرانية ومراكز أخرى للدعم اللوجستي في العراق.

أما المستوى الثاني، فيتصل بقابلية محور المقاومة على استيعاب الهجمات التي ستقوم بها إسرائيل، والتي يمكن أن تكون تداعياتها الأكبر في لبنان بالدرجة الأولى، والعراق في الدرجة الثانية؛ بسبب ضعف القدرات الدفاعية ذات الصلة بالدفاع الجوي، وعدم إمكانية دخول الجيش العراقي رسمياً على مستوى المواجهة؛ مما يجعل فصائل المقاومة أمام مخاطر عالية المستوى؛ بسبب عدم امتلاكها القدرة على صد الهجمات العسكرية الصاروخية التي يمكن أن تستهدف مواقع عسكرية تابعة لها. ناهيك عن عدم إمكانية توظيف القدرات العسكرية لوزارة الدفاع في هذا الجانب لاعتبارات عديدة تتعلق بموقف الحكومة العراقية والتزاماتها، والتي يمكن أن تكون عائقاً في وضع خيارات تتصل بالتأمين والحماية.

إن استهداف مراكز الدعم اللوجستي بالنسبة للحشد الشعبي أو فصائل المقاومة في العراق سيكون التأثير الأكبر من حيث تداعيات اتساع هذه الحرب، بالإضافة إلى محاولة إضعاف الدور الإقليمي الذي يقوم به العراق بحكم توصيفه طرفاً ضمن محور المقاومة بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، والذي من الممكن أن يترك تأثيرات أخرى تتعلق بالوضع النقدي وسعر صرف الدولار وإمكانية الدخول في مرحلة جديدة من الضغوطات الأمريكية لأجل تعويض الكيان الصهيوني «الإسرائيلي» الخسائر التي سيتعرض إليها في هذه الحرب. إذ سوف يحاول

الكيان الإسرائيلي الضغط على الإدارة الأمريكية من أجل زيادة الضغوطات ذات العلاقة بالدولار الأمريكي وتقييد الفعل العسكري عن طريق وزارة الدفاع وعدم اعتراض الهجمات التي يمكن أن تنفذها إسرائيل. وبمحصلة جميع ذلك، سوف يكون العراق أمام تهديدات ناشئة يمكن أن تتزايد بفعل تداعياتها الداخلية.

ومن ثم، فإن رفع مستوى التحسب بالنسبة للعراق يعد ضرورة وأولوية في ضوء الاحتمالات التي يمكن أن تقود لها هذه الحرب، خاصةً بعد أن يستهدف الكيان الصهيوني «الإسرائيلي» الجمهورية الإيرانية؛ مما يجعل هذه التداعيات ذات احتمال أكبر، بحكم طبيعة المواجهة التي تحاول أن تنقل عمليات حرب الاستنزاف باتجاه خيارات ذات عمق أكبر سواء في داخل إيران أو مراكز تأثيرها المتعددة، والتي سيكون العراق في مقدمتها من حيث الأهمية.

لِدولةٍ فاعلةٍ ومجتمعٍ مُشارِك

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org